

# الخليج العربي في كتابات الرحالة المسلمين

بحث مقدم إلى

مؤتمر الملاحة البحرية في الخليج العربي عبر العصور

جامعة الشارقة

١٧.١٥ نوفمبر ٢٠٠٨

دكتور

عبد العظيم أحمد عبد العظيم

قسم الجغرافيا.. كلية الآداب بدمنهور

جامعة الإسكندرية . مصر

## الخليج العربي في كتابات الرحالة المسلمين

دكتور/ عبد العظيم أحمد عبد العظيم\*

### تمهيد

اهتم المؤرخون والرحالة بالكتابة عن "الطريق البحري من أوربا إلى الهند والصين" اهتماماً كبيراً، فأسهبوا في وصفه وصفاً يفوق وصفهم للطريق البري الذي يمر بأواسط آسيا، ومرد ذلك إلى وعورة مسالك الطريق البري وتأثره كثيراً بالأحداث والتقلبات السياسية في الدول التي يمر بها، ومن ثم فضّل التجار والمسافرون استخدام الطريق البحري، ولعل خير ما يفسر لنا تردد التجار في استخدام الطريق البري ما ذكره المسعودي من أن رجلاً من التجار من أهل سمرقند قدم العراق في متاع كثير وانحدر إلى مدينة البصرة ومنها ركب البحر حتى أتى عمان ليواصل رحلاته منها إلى الصين بعد أن منعه اضطراب الأمور من التوجه من سمرقند إلى الصين رأساً.<sup>١</sup>

وكانت التجارة في الطريق البحري الممتد من الخليج العربي إلى أقاصي المحيط الهندي بالغة الأهمية لقيام امبراطوريتين عظيمتين في وقت واحد على طرفي الطريق فقد توحّد العالم الإسلامي كله من أسبانيا إلى السند أيام الخلافة الأموية (٤٠ - ١٣٢ هـ / ٦٦٠ - ٧٤٩ م)، ثم استمرت هذه الوحدة أكثر من قرن من الزمان (١٣٣ - ٢٥٧ هـ / ٧٥٠ - ٨٧٠ م) في ظل العباسيين باستثناء أسبانيا وشمال أفريقيا. وحكمت أسرة تانجين من بداية القرن السابع الميلادي حتى أوائل القرن العاشر الميلادي في الصين، وهي امبراطورية متحدة قوية، فنعم جنوب الصين مدة قرنين ونصف قرن بالهدوء السياسي.<sup>٢</sup>

وعند رأس الخليج تبدأ فروع الطريق التجاري النهرية والبرية من البصرة إلى بغداد؛ حتى يتفرع فرعين: يتجه الأول شمالاً إلى ديار بكر، ويتجه الثاني غرباً إلى دمشق ومنها تخرج فروع إلى موانئ ساحل البحر المتوسط ومصر وآسيا الصغرى ليلتقي بالطرق البرية القادمة من وسط آسيا ويتحد معها إلى القسطنطينية ثم أوروبا. وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من وسط آسيا خلال غزوات المغول في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم عاد

\* أستاذ مساعد .. قسم الجغرافيا .. كلية الآداب بدمنهور .. جامعة الإسكندرية .. مصر

<sup>١</sup> - المسعودي، مروج الذهب، ١/١١٧

<sup>٢</sup> . جورجى فضلو حورانى، العرب والملاحة فى المحيط الهندى، ص ص ١٩٠ - ١٩١

الاتصال بعد ذلك عندما سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى وأمنوا الطرق المارة بها، حتى أصبح الخليج العربي يمثل الطريق الاحتياطي للتجارة الشرقية كلما تعطلت الطرق الأخرى أو أصابها كوارث القراصنة وقطاع الطرق.

وإذا كانت الرحلة البحرية من المحيط الهندي إلى أوربا تأخذ أحد الطريقين "البحر الأحمر أو الخليج العربي"؛ فإن الطريق الثاني أفضلهما، ذلك لأن الطريق الأول له فرعان: يتجه أحدهما شمالاً بعد أن يترك البحر الأحمر عبر سيناء إلى دمشق ثم موانئ ساحل البحر المتوسط، ويتجه الآخر عبر الصحراء إلى النيل فالقاهرة ومنها بالنيل أيضاً إلى الإسكندرية فأروبا. إلا أن هذا الطريق تعترضه صعوبتان: أولاهما: المساحة البحرية الواسعة من الصين والهند إلى البحر الأحمر وما فيها من تيارات بحرية وهوائية متعارضة معظم السنة. وثانيهما: كثرة الشعب المرجانية التي تعترض الملاحة في البحر الأحمر.

واتصف كتابات الرحالة المسلمين بدقة الوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم، رغم أن بعضهم لم يكن هدفه الرئيس الرحلة البحرية في حد ذاتها بقدر اهتمامهم بوضع مؤلف في تقويم البلدان كما فعل المقدسي مثلاً أو وصف حضارة غير إسلامية كما جاء في دراسة البيروني للثقافة الهندية، ومع ذلك فهذه الأعمال وما قدمت من مادة ثرية دليل بارز على قيمة رحلاتهم التي تعتمد على المعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة والمعاينة الشخصية عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية<sup>1</sup>. ولقد قدم السيرافي وصفا صادقا للطرق التجارية المتصلة بالخليج العربي ولبعض العادات والنظم الاجتماعية والاقتصادية ولأهم المنتجات في الهند وسرنديب وجاوه والصين وبلاد العرب والفرس؛ مع قلة الخرافات والأساطير التي تكثر في أحاديث البحارة بالإضافة إلى الأخبار الوافية عن علاقة المسلمين بالصين في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة.

### أولاً . وصف الخصائص المكانية:

يعد ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) صاحب كتاب "المسالك والممالك" خير من وصف لنا الطريق البحري عبر الخليج العربي إلى الهند والصين؛ إذ لم يكتف بتقدير المسافات على طول الطريق بين المركز التجارية المختلفة التي تتمثل في المرافئ والمدن الهامة، وإنما اهتم أيضاً بوصف هذه المراكز وصفاً مسهباً وأمدنا بمعلومات وافرة عما تنتجه

<sup>١</sup> . حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص ٨٨

من صناعات. وكذلك فعل سليمان التاجر في كتابه "سلسلة التواريخ" الذي ألفه سنة (٢٣٧هـ / ٨٥١م) وله تكملة كتبها أبو زيد الحسن السيرافي. ويعد هذان الكتابان من أقدم وأحسن المصادر التي تناولت وصف الخليج العربي، وأخذ عنهما معظم من كتب بعد ذلك عن الخليج.

ويعد الخليج العربي امتدادا هامشيا ضحلا للمحيط الهندي ، وتبلغ مساحته حوالي ٢٤١ ألف كم<sup>٢</sup> وطوله حوالي ٩٩٠ كم، ويتراوح عرضه بين حد أقصى حوالي ٣٤٠ كم إلى حد أدنى من ٥٥ كم في مضيق هرمز، ومتوسط عمقه ٢٥ مترا، وهو من البحار عالية الملوحة إذ تزيد درجة ملوحته على ٣٥ في الألف.. وتحده إيران من الشمال والشمال الشرقي والشرق؛ بينما تحده من الجنوب كل من عُمان والإمارات العربية المتحدة، وتحده من الجنوب الغربي والغرب كل من المملكة العربية السعودية وقطر، وتقع كل من الكويت والعراق على أطرافه الشمالية الغربية، بينما تقع البحرين ضمن مياه الخليج الغربية شمال قطر. وقد وصف ابن رسته (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) امتداده بدقة فقال "الخليج الفارسي طوله ألف وأربع مائة ميل<sup>٢</sup> وعرضه في الأصل خمس مائة ميل، وبين خليج أيلة وخليج فارس أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب ألف وخمس مائة ميل. وحد بحر فارس مما يلي المشرق من فوهة دجلة العوراء<sup>٣</sup> وآخره ينتهي إلى جزيرة يقال لها تيز مكران، ومن هناك يعد أول حد السند. وحد مما يلي المغرب من فوهة دجلة العوراء إلى أن ينتهي إلى غب<sup>٤</sup> عدن. وشرقي بحر فارس من المدن بلاد فارس ومكران وكرمان. وفي غربيه بلاد العرب وهي: البحرين وعمان ومسقط وسقوطة إلى أن يبلغ غب عدن وهي آخر جزيرة العرب، وهناك الموضع الذي يقال له الدوارج وهو الطريق في البحر يؤخذ منه إلى بحر جدة ومصر"<sup>٥</sup>.

ويقول ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): "هو شعبة من بحر الهند الأعظم واسمه بالفارسية زراه كامسير"<sup>٦</sup>. وكتب شمس الدين الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) فصلا كاملا عن الخليج عنوانه "في وصف بحر فارس وحدوده وعمائره وجزائره وعجائبه"، ومما جاء فيه: "قال أهل العلم: بحر

<sup>٢</sup> . الميل = ١.٨٤٨ كم.

<sup>٣</sup> . هي دجلة البصرة (انظر : ياقوت، معجم البلدان)

<sup>٤</sup> - الغب: الداخل من ماء البحر يعن في البر ويكون ذلك حين المد.

<sup>٥</sup> . ابن رسته، كتاب الأعلام النفيسة، ص ٨٣

<sup>٦</sup> . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/٣٤٣

فارس مبارك مأمون كثير الخير لم يزل مركوباً، وهيجه واضطرابه أقل من سائر البحار، وهو شعبة من بحر الهند الأعظم وإن كان متصلاً به، إلا أنه مخالف له في الهيج والسكون. وفيه مغاص اللؤلؤ الصافى والدر الجيد. وفيه معادن العقيق والبجادي والمادني والذهب والفضة والحديد وفيه أنواع الطيب والبهار. ومده وجزره مع طلوع القمر ومع توسطه بوتد الأرض. وطوله أربع مائة فرسخ وستون فرسخاً<sup>٧</sup> وعرضه مائة وثمانون فرسخاً. وهو مثلث الشكل على هيئة القلع. أحد أضلاعه من بصرة إلى رأس الجمجمة من بلاد مهرة، والآخر من البصرة إلى تيز مكران، والثالث يأخذ من رأس الجمجمة ويمتد على رأس البحر.<sup>٨</sup> وقد ذهب النويري (ت ٧٣٢هـ) أيضاً إلى أن الخليج العربي مثلث الشكل فقال: "وأما خليج فارس فإنه مثلث الشكل على هيئة القلع<sup>٩</sup>. وهذه الأضلاع متفاوتة في الطول، فإن الضلع الذي يمتد على سطح البحر طوله خمسمائة ميل، وطول الضلع الآخر من حيث نبتدى من تيز مكران إلى أن ينتهى إلى عبادان ثم ينعطف إلى أن يصل إلى رأس الجمجمة، تسعمائة ميل<sup>٩</sup>.

أما المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) فيقول: وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهى أحد زواياه إلى بلاد الأبله، وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس ومدينة حسان وإليها تضاف الثياب الحسانية<sup>١٠</sup>. ويضيف الاصطخري (٣٤٠هـ/٩٥١م): "وأما البحار فأعظمها بحر فارس وبحر الروم؛ وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط وأعظمها طولاً وعرضاً "بحر فارس"<sup>١١</sup>.

ويبدو من مقولة الاصطخري أن "بحر فارس" عنده يشمل مياه كل من "الخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب وخليج عمان وخليج عدن وخليج البنغال" باعتبارها بحاراً مفتوحة متصلة المياه وتأخذ من "البحر المحيط". ويسود هذا المفهوم عند ابن حوقل (ت ٣٤٧هـ) والذي كان معاصراً للاصطخري، إذ يقول: وبحر فارس يعطف من جزيرة مسقط مغرباً إلى

<sup>٧</sup> . الفرسخ = ٥.٥٤٤ كم

<sup>٨</sup> . الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،

<sup>٩</sup> - القلع: شراع السفينة

<sup>٩</sup> . النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣٢/١. ٢٣٥

<sup>١٠</sup> . المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١٥٥/١

<sup>١١</sup> . الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٦٥

مكة وإلى القلزم عن خمسين فرسخاً من عمان ويدعى ذلك الموضع رأس الجمجمة<sup>١٢</sup>. ويضيف: "وأما الحبشة فإنها على بحر القلزم، وهو بحر فارس. وأرض الزنج أطول أراضي السودان ولا تتصل بمملكة غير الحبشة، وهي تجاه اليمن وفارس وكرمان إلى أن تحاذي بعض أرض الهند. وأرض الهند تجاه بلاد الزنج من جانب بحر فارس الشرقى"<sup>١٣</sup>. وفي موضع آخر يقول في وصف "ديار العرب": الذي يحيط بها بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر، فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ثم يعطف على سواحل حضرموت وعدن، حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة، ثم يمتد حتى ينتهي إلى أيلة، وهذا المكان من البحر لسان يُعرف ببحر القلزم. فما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغرب<sup>١٤</sup>.

و"البحر المحيط" الذي يقصده الرحالة هو جملة المحيطات التي تجاور البحار المفتوحة والقارات "آسيا وأوربا وأفريقيا"، إذ لم يكن عندهم تقسيم المحيطات الدفينة إلى "الأطلنطي والهادي والهندي" فضلاً عن عدم معرفتهم بالمحيطين المتجمدين. ويتضح ذلك في مقولة القزويني (ت ٦٨٢هـ): "وفي رسالة أرسطاطاليس إلى الإسكندر التي تسمى بيت الذهب أن بحر أوقيانوس بحر محيط بالأرض كإكليل وينفجر منه خلجان هي سائر البحار"<sup>١٥</sup>. ومن ثم فهم يعتبرون البحار المفتوحة بحراً واحداً إذ ربما يتعذر التفريق بينها؛ وفي ذلك يقول ابن الفقيه: "واعلم أن بحر فارس والهند هما بحر واحد لاتصال أحدهما بالآخر إلا أنهما متضادان، فبحر فارس قد يُركب في كل أوقات السنة، وأما بحر الهند فلا يركبه الناس عند هيجانه لظلمته وصعوبته"<sup>١٦</sup>.

ولكن ليس هذا المفهوم سائداً عند كل الرحالة والمؤرخين، إذ أنه حين ذكروهم الوقائع بدقة يجنحون إلى التفصيل؛ ومن ذلك قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): "وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها: فبحر الهند من الجنوب، وبحر فارس الهابط، منه إلى البصرة من

<sup>١٢</sup> . ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٥. (قال ياقوت: الجُمجمة: سن خارج في البحر بأقصى عمان بينها وبين عدن: يسميه البحريون "رأس الجمجمة".

<sup>١٣</sup> . نفس المصدر، ص ٢٥

<sup>١٤</sup> . نفس المصدر، ص ٢٩

<sup>١٥</sup> . القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص ٤٥

<sup>١٦</sup> . ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨

المشرق، وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا<sup>١٧</sup>"

ولما كان الاسم الأغلب في العصور الوسطى وما قبلها هو "الخليج الفارسي" فإن القزويني (ت ٦٨٢هـ) قد ذكر سبب تلك التسمية بأنه: نسبة إلى فارس بن الأشور بن سام بن نوح، عليه السلام.<sup>١٨</sup> ومن الأسماء التي سمى بها "الخليج العربي": "الخليج الفارسي" و"البحر الفارسي" و"بحر العجم" و"خليج البصرة" و"البحر الأخضر".

### ثانياً . المد والجزر :

تحدث ظاهرة المد والجزر بفعل جاذبية القمر والشمس والقوة الطاردة الناجمة عن دوران الأرض حول نفسها، والمد هو الارتفاع الوقتي التدريجي في منسوب مياه سطح البحر. والجزر هو انخفاض وقتي تدريجي في منسوب مياه سطح البحر<sup>١٩</sup>. وقد وصف الرحالة المسلمون تلك الظاهرة بدقة تامة لما لها من أثر بالغ على التجارة البحرية والعمران.

ويعد الدمشقي من العلماء الذين ربطوا بين هذه الظاهرة وبين أوجه القمر حيث أعطى لنا وصفاً دقيقاً للدورة المدية اليومية التي تحدث في الجزء الشمالي من الخليج العربي عند شط العرب حيث يوضح فيه عدة مظاهر طبيعية للمد والجزر كفترة الركود وتأخر ميعاد المد في كل يوم عن سابقه بنفس المدة التي يتأخر بها ظهور القمر. وفي ذلك يقول: "وكل هذه الأنهار تمد وتجزر في كل يوم وليلة مرتين فإذا مدّ البحر جرى الماء في شط العرب شمالاً وزاد وارتفع فامتألت جميع الأنهار والسواقي ومن أراد أن يسقى أرضه وبستانه فتح وسقى ثم سد، ولا يزال كذلك إلى مضيّ ست ساعات ثم يقف الماء قليلاً ويجزر فيعود جريانه جنوباً كما كان أولاً وينقص وتفيض الأنهار وتخلو السواقي ولا يزال كذلك إلى أكثر من ست ساعات فإن زمان الجزر أكثر من زمان المد"<sup>٢٠</sup>.

<sup>١٧</sup> . ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١١٨

<sup>١٨</sup> . القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٣٣

<sup>١٩</sup> . جودة حسنين جودة، جغرافية البحار والمحيطات، ص ١١٢.

<sup>٢٠</sup> . الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٣٦

يقول الاصطخري: وليس لبحر المغرب ولا لبحر الروم ولا لسائر البحار مد ولا جزر غير بحر فارس، وهو أن يرتفع الماء قريباً من عشرة أذرع ثم ينضب حتى يرجع إلى مقداره<sup>٢١</sup>. ويفصل المسعودي تلك الظاهرة تفصيلاً فيقول: المد والجزر في بحر فارس يكونان على مطالع الفجر وهو الأغلب من الأوقات. وقد ذهب كثير من نَوَاخِذَةٍ<sup>٢٢</sup> هذا البحر وهم أرباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون إلى عمارة من الأمم التي في جزائره وحوله إلى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة؛ مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر؛ فإذا كان ذلك طغا الماء في مشارق البحر والجسر بالصين وما وراء ذلك الصقع، ومرة يمد في الشهور في الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر. فإذا كان الصيف طغا الماء في مغارب البحر والجسر بالصين. وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح. وأن الشمس إذا كانت في الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية. وتقل المياه في جهة البحار الشمالية وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب في جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية فقلت المياه في الجهة الجنوبية منه وينتقل ماء البحر في هذين الميلين أعنى في جهتي الشمال والجنوب فيسمى جزراً أو مداً شتوياً. وذلك أن مد الجنوب جزره الشمال ومد الشمال جزره الجنوب؛ فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين اشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس.<sup>٢٣</sup>

وقد عد القزويني (ت ٦٨٢هـ) المد والجزر في الخليج العربي من العجائب؛ فقال: هو شعبة من بحر الهند الأعظم، وهو بحر مبارك كثير الخير لم يزل ظهره مركوباً واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار، قال محمد بن زكريا سئل عبد الغفار الشامي البحري عن مد البحار وجزرها، فقال لا يكون المد والجزر في البحر الأعظم في السنة إلا مرتين، مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر

<sup>٢١</sup> . الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٣٢ (الذراع المصري ٤٦.٢ سم، والذراع الهاشمي ٦١.٢ سم).

<sup>٢٢</sup> . نَوَاخِذَةٍ: مفرداً نوخذة، وهو ريان السفينة.

<sup>٢٣</sup> . المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١ / ٧٠



عن مشاركته، وأما بحر فارس فإنه يكون على مطالع القمر وكذلك بحر الصين والهند وبحر طرابزنده (بحر بنطس)<sup>٢٤</sup>

وقد اجتهد أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ) في معرفة مدى المد والجزر فقال: "ويقع في جميع بحر فارس في كل نهار وليلته مرتين، وهو أن يرتفع البحر نحو عشرة أذرع<sup>٢٥</sup> ثم يهبط حتى يرجع إلى مقداره الأول"<sup>٢٦</sup>. وقد بالغ أبو الفدا. ومن قبله الاصطخري. في هذا التقدير، إذ أن "مدى المد والجزر هنالك لا يزيد عن ١,٥ مترا، وذلك في المنطقة المحيطة بشبه جزيرة قطر، ونادرا ما يرتفع إلى ٣,٤ مترا في الشمال الغربي وإلى ٣,٠ مترا في أقصى الجنوب الشرقي"<sup>٢٧</sup>.

### ثالثا . مغاصات اللؤلؤ:

يتكون اللؤلؤ نتيجة دخول جسم غريب مثل ذرة رمل أو كائن دقيق داخل المحارة "الصدفة" فيتأذي الحيوان الرخو الذي يسكن داخل الصدفة فيدافع عن نفسه بأن يفرز مادة لؤلؤية تجعل ذلك الجسم الغريب أملس ناعما مستديرا تقريبا حتى لا يؤذيها، حيث يكسوه بطبقات من إفرازه، فتتكون من جراء ذلك اللؤلؤة، وتكون جودتها على قدر قوة إفراز الحيوان، والحيوان نفسه بإفرازاته يجعل داخل المحارة لامعا أملس وهذا السطح اللامع هو الذي يساعد على تكون اللؤلؤة فيعطيهما الضوء اللازم .. ويراعى في تصنيف اللؤلؤ وتثمينه إلى جانب الحجم والوزن مجموعة من الخصائص: كالنوع والشكل واللون والإشراق ودرجة الاستدارة ونعومة الملمس، ويمتد موسم الغوص على اللؤلؤ من شهر مايو إلى سبتمبر، وينتهي موسم الغوص في ٢٢ سبتمبر من كل عام حيث يتساوي الليل والنهار، ويكون البحر باردا، ونهاية موسم الغوص تسمى (القفال). وهناك أنواع كثيرة لسفن الغوص منها: البتيل، البقارة، السنيوك، الجالبوت، الشوعي، والبوم، ويتراوح عدد البحارة في سفينة الغوص ما بين أكثر من مئة شخص إلى نحو ثلاثين شخصا، على حسب حجم السفينة ومقدرة النوخة على جمع أكبر عدد من البحارة.

<sup>٢٤</sup> . القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص ١١٠

<sup>٢٥</sup> - الذراع المصري = ٤٦.٢ سم، والذراع الهاشمي = ٦١.٢ سم.

<sup>٢٦</sup> . أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣

<sup>٢٧</sup> . جودة حسنين جودة، جغرافية البحار والمحيطات، ص ١٥٢

وكانت حرفة صيد اللؤلؤ في الخليج العربي الحرفة الأشهر بعد التجارة، وقامت عليها اقتصاديات عدة مدن خليجية، ومن ثم لقيت تلك الحرفة عناية الرحالة المسلمين فسطروا عنها في كتاباتهم، وقد أطلق المسعودي على أماكن صيد اللؤلؤ "مغاصات الخليج الفارسي" إذ يقول: وفي هذا البحر مغاصات الدر والياقوت وفيه العقيق والبادبيج وهو نوع من البجادي وأنواع الياقوت والماس والسنباذج<sup>٢٨</sup>. وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة، وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان، ونحاس بأرض عمان، وفيه أنواع الطيب والأفاوية والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداسجي والقنا والخيزران<sup>٢٩</sup>. ثم يحدد المسعودي مواقيت الصيد فيقول: الغوص على اللؤلؤ في بحر فارس إنما يكون في أول نيسان إلى آخر أيلول وماعدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر إذ كان ماعدها من البحار لا لؤلؤ فيه<sup>٣٠</sup>.

ويذهب ابن حوقل (ت ٣٤٧هـ) إلى نفاضة لؤلؤ الخليج فيقول: "وتجاه جنابة مكان يعرف بخارك<sup>٣١</sup>، وبه موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير، إلا أن النادر إذا وقع من هذا المكان فاق في القيمة غيره، ويقال أن الدرة اليتيمة وقعت من هذه المعادن وبعمان وبسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ ولا أعلم معدناً للؤلؤ إلا ببحر فارس<sup>٣٢</sup>".

وإذا كان ابن حوقل قد عد اللؤلؤ معدناً؛ فإن الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) قد فصل حقيقته تكوين اللؤلؤ وعقد له فصلاً في كتابه سماه "في وصف الدر واللؤلؤ وكيفية توليده في أصدافه وذات حيوانه" يقول فيه: واللؤلؤ حجر شريف وجوهر ثمين معدني حيواني وهو الجوهر المختص بتسمية الجوهريّة وما عداه فمن حيث عموم الجنس يسمى جوهراً وهو من أجلّ الأحجار قيمة وقدرًا ونفعاً وحلياً، تلبّسه وتكوينه مياين لسائر ما عداه من الجواهر الشفافة لأنها ترابية وهو حيواني، وذلك أن المطر يقع على ساحل البحر الفارسي في فصل الربيع فيخرج حيوان صغير الجثة من قعر البحر إلى سطحه فيفتح له أذنيه كالسفطين فيلتقف بهما من المطر الواقع في ذلك المكان والأوان قطرات فإذا أحس بوقوعها وهو كالعطشان التقف

<sup>٢٨</sup>. البجادي: حجر كالياقوت. والسنباذج: حجر مسن، معرب سنباده بالفارسية

<sup>٢٩</sup>. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ٧/١

<sup>٣٠</sup>. نفس المصدر، ٩١/١

<sup>٣١</sup>. خارك: جزيرة كبيرة تتبع دولة إيران، وهي بلاد جنابة، وفيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركي

<sup>٣٢</sup>. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥٢

منها فإذا روى ضم عليها ضمماً شديداً خوفاً عليها أن يختلط بشئ من ماء البحر ثم ينزل إلى قرار البحر كما كان ويقوم فيه إلى أن ينضج ذلك الماء وينعقد لؤلؤ كبيراً أو صغيراً وذلك بحسب صفاء القطرات وكبرها.<sup>٣٣</sup>

ولقد تخصصت بعض القبائل وبعض المدن في صيد اللؤلؤ حتى بلغ من شهرتهم أنهم حين كساد أسواقهم أو مصايدهم يذهبون إلى مصايد اللؤلؤ على سواحل جنوب شرق آسيا<sup>٣٤</sup>، يقول ابن بطوط (ت ٧٧٩هـ): "ثم سافرنا إلى مدينة قيس وتسمى أيضاً بسيراف<sup>٣٥</sup> وهى على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس، مدينة لها انفساح وسعة، طيبة البقعة، فى دورها بساتين عجيبة فيها الرياحين والأشجار الناضرة، وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها، وهم عجم من الفرس، أشرف وفيهم طائفة من عرب بنى سفاف، وهم الذين يغوصون على الجواهر"<sup>٣٦</sup>

#### رابعاً . الأمواج :

تنشأ الأمواج حينما يضطرب سطح البحر، ومعظمها ناتج عن تأثير حركة الرياح على الماء، غير أن الأمواج قد تنشأ بتأثير حركات المد والجزر، كما تنشأ أيضاً من تأثير الزلازل والبراكين فى قاع المحيط. ولكل موجة ارتفاع يقاس من قاعدتها إلى قمته، ولها طول يعبر عنه بالمسافة بين قمتها وقمة الموجة التالية لها، أما مدة الموجة فهو تعبير يقصد به الفترة الزمنية بين لحظتى مرور قمتين متتاليتين بنقطة معينة وهذه المقاييس متغيرة وغير ثابتة وترتبط بعمق المياه وبحركة الرياح. وجدير بالذكر أن كتلة المياه تتحرك ولا تنتقل مع الموجة ولكن الذى ينتقل هو الطاقة الدافعة. وتتوقف شدة الأمواج على شدة الرياح وعلى مدة هبوبها وعلى طول المسافة البحرية التى تقع تحت تأثير الرياح وقد تصل هذه المسافة إلى آلاف الكيلو مترات فى عرض المحيطات، فتدفع الرياح أمامها الأمواج فى مسار اتجاهها.

<sup>٣٣</sup> . الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٧٧

<sup>٣٤</sup> . سيف مرزوق الشملان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، ٢/٢٨

<sup>٣٥</sup> - قيس وسيراف مدينتان مستقلتان وكما ذكر ياقوت، قيس: جزيرة وهى جزيرة كيش فى بحر عمان وسيراف: مدينة جبلية على ساحل بحر فارس وليستا مدينة واحدة

<sup>٣٦</sup> . ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظر فى غريب الأمصار وعجائب الأسفار"، ص ٢٧٨

والأمواج عامل هام من عوامل النحت والإرساب فهي تحطم السواحل وتحت في تكوينها وتعمل على تأكلها وتكون الكهوف والمغارات البحرية، وتنتزع كميات كبيرة من رمال الشواطئ، كما أنها قد ترسب مكونة حاجزا أو جزيرة صغيرة. وتعمل المياه الضحلة والأرصفة الصخرية والجزر الساحلية عند فتحات الخلجان على اضمحلال الأمواج . ويعمل الجليد والتلج المتساقط والأمطار على تهدئة قوة الأمواج وقد تقضى عليها.

وتحتاج الرحلة البحرية إلى معرفة تامة بأوقات هبوب الرياح وارتفاعات الموج، ويحدثنا التاريخ أن العرب والفرس بعد ظهور الإسلام كانت لهم محاولات علمية في مجال علم البحار، وأن الخليج العربي بينهما كان عامل وصل لا فصل، ويذكر العالم الجغرافي ابن خرداذبة (ت: ٢٣٢هـ/٨٤٦ م): "أن الملاحين العرب والفرس في بحر العرب على علم بأن التيارات تعكس اتجاهها هناك مرتين في السنة"<sup>٣٧</sup>.

وقد وصف السيرافي الظواهر الجغرافية والفلكية التي يتعرض لها بحر فارس (الخليج العربي) وبحر الهند والأوقات التي يحسن فيها الإبحار، والخطورة التي قد يتعرض لها أصحاب السفن عند هبوب الرياح<sup>٣٨</sup>. وقد عرف الرحالة المسلمون تلك الحقائق؛ وسجلوها بدقة تامة، ومن ذلك قول المسعودي: "إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياها غير منفصلة إلا أن هيجانها وركودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وأثار ثورانها وغير ذلك. فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه. ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه"<sup>٣٩</sup>.

وقد لاحظ ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ) علامة تنبئ باقتراب هيجان البحر وسرعة رياحه واضطراب موجة، وتلك العلامة هي طفو نوع من السمك الذي يستشعر اقتراب تلك النغيرات؛ يقول: "وملكان نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني يدل ذلك

<sup>٣٧</sup> . ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٠١

<sup>٣٨</sup> - السيرافي، رحلة السيرافي، ص ص ٧٤ - ٩٥

<sup>٣٩</sup> . المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٩٥/١.

على خروج ربح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس ويشد هيجانه ويتكدر لونه وتتعد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد"<sup>٤٠</sup>

### خامسا . التيارات البحرية:

ترجع نشأة التيارات البحرية إلى التباين في الثقل النوعي لمياه البحر الناشئ عن اختلاف درجة الحرارة والملوحة في مياه البحر. ويعتقد البحارة أن السبب الرئيسي في تكوين التيارات البحرية هو الرياح. ومما لا شك فيه أن للرياح أثر في ذلك، ولكنها ليست العامل الوحيد المسئول عن تحريك التيارات البحرية. بل إن بعض الباحثين يعتقد أن الرياح لا تقوى على تحريك كميات ضخمة من المياه. بل مرد التيارات البحرية إلى تباين حرارة وملوحة المياه والذوبان الفصلى لجليد المناطق القطبية والتباين في البخر من سطح المحيط من مكان لآخر ثم التباين في الضغط الجوى.

وعلى الرغم من أن اليونانيين وغيرهم قد طافت مراكبهم في المحيط الهندي منذ القرن الأول الميلادى إلا أن العرب كان لهم فضل اكتشاف التيارات البحرية المنعكسة في النصف الشمالى من هذا المحيط. وهذه التيارات تسير من الشرق إلى الغرب في فصل الشتاء ومن الغرب إلى الشرق في فصل الصيف. ويتبع هذا النظام هبوب الرياح الموسمية في هذا المحيط. وأقدم وصف مدون لظاهرة التيارات البحرية المنعكسة ورد في كتاب ابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ) «المسالك والممالك». وليس أبدع من وصفه لنظام التيارات المنعكسة في كتابه إذ يقول: «وسئل اشتهامو<sup>٤١</sup> البحر عن المد والجزر فذكروا أنه إنما يكون في بحر فارس على مطلع القمر وأنه لا يكون في البحر الأعظم إلا مرتين في السنة مرة بمد البحر في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر. فمتى كان ذلك طما الماء في مشارق البحر بالصين وانحسر على مغارب البحر. ومرة يمد في شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر. فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين<sup>٤٢</sup>. و يدل هذا الوصف على أن العرب قد اعتمدوا في وصفهم للبحار على الخبرة والتجربة المباشرة وضربوا صفحا بنظريات فلاسفة اليونان.

<sup>٤٠</sup> . ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٦٥

<sup>٤١</sup> . جمع اشتهام وهي كلمة فارسية بمعنى صاحب السفينة أو الريان.

<sup>٤٢</sup> . ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٣١٥

كما عرف الرحالة المسلمون التيارات الصاعدة المنبثقة من الأعماق واستدلوا عليها بطفو شباك الصيد من الأعماق إلى سطح الماء. وفي ذلك يقول البيروني: «لذلك فقد قيل إن في بحر الصين مكان يستدل عليه ويعرف هيجان البحر فيه بارتفاع الشباك من ذاتها من قعر البحر إلى وجه الماء»<sup>٤٣</sup>. وربط العرب بنجاح بين كثرة الأسماك على سطح الماء والتيارات التي تنبثق من القاع والتي افترضوا لتعليلها تحرك الرياح في قاع البحر، وفي ذلك يقول البيروني أيضاً: "ويذكر أنه يقع في قعره ريح تهيج ذلك ويستدل عليه بنوع من السمك يظهر فيكون طفوه في أعالي البحر ووجه الماء إنذار بتحرك تلك الرياح في قعره"<sup>٤٤</sup>.

### سادسا . المنار:

يتميز ساحل الخليج في الجانب الإيراني بتركيبية جبلية، وشواطئ ضيقة جدا لا تشكل إلا شفا ساحليا رفيعا يتسع قليلا أمام مصبات الأنهار الصغيرة على حدود الخليج. أما السهل الساحلي فيتسع شمالا في منطقة بوشهر الإيرانية، ليتحد بعد ذلك مع سهول دلتا أنهار دجلة والفرات والكارون الواسعة. يقول أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ): "وعلى قم بحر فارس من بحر الهند الدردور وهي ثلاث جبال يقال لأحدها كسير والآخر عوير والثالث ليس فيه خير، وماء البحر يدور هناك فإذا وقع فيه المركب كسره هناك. قالوا وهذه الجبال غارقة في البحر ويظهر منها القليل"<sup>٤٥</sup>. أما الشاطئ العربي للخليج فيتكون من شواطئ رملية، مع العديد من الجزر الساحلية الصغيرة. وتعد مياه الخليج غير عميقة نسبياً، إذ يبلغ أقصى عمق فيها ٩٠ متراً، وقد تصل في مناطق قليلة جدا إلى أعماق تزيد على ١١٠ متراً، وذلك في مدخله في الجزء الجنوبي الشرقي. بينما يبلغ متوسط العمق ما يقارب ٣٥ متراً.

وننتج عن ضحالة السواحل تعرض غير قليل من السفن للغرق، مما أدى إلى إنشاء ما يشبه "المنارات"، ولقد أولت الدولة العباسية الطرق البحرية جانباً كبيراً من اهتمامها فقامت بحمايتها وتنظيمها لتسهيل طرق التجارة؛ فالمناطق الشمالية من الخليج العربي تتميز بضحالة مياهها وعلى الأخص المناطق القريبة من الأبله، ولذا فإن الحكومة العباسية أقامت في تلك المناطق علامات من الخشب (منار) لإرشاد السفن وإبعادها عن الأماكن الضحلة. وقد أشار

<sup>٤٣</sup> . البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٢٥

<sup>٤٤</sup> . نفس المصدر، ص ٢٦

<sup>٤٥</sup> . أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣، وقد ذكر ياقوت هذه الجبال

السيرافي إلى هذه الخشبات فقال: "أول بحر فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكنكلا وهي علامات منصوبة من خشب في البحر معروشة؛ علامات للمراكب إلى عمان"<sup>٤٦</sup>.

ويقول المسعودي في وصف تلك "الفنارات": (وهي داخلة من البحر إلى البر تقرب من نحو بلاد الأبله، عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل، خوفاً على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما أن تقع في تلك الحدارة، فلا يكون لها خلاص)<sup>٣</sup>، ويمدنا الرحالة الفارسي ناصر خسرو بوصف أكثر دقة لهذا المنار بعد أن قام بزيارة الأبله في سنة (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م)، فيقول: (يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجنيق. وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة، ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعاً، وعلى قمته حجارة وقرميد على عمد من خشب كأنها سقف، ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس، ويقول البعض أن الذي بنى الخشبات هذه تاجر كبير، ويقول آخرون بل بناه أحد الملوك. وكان الغرض منه شيئان: أحدهما أنه بنى في جهة ضحلة يضيق البحر عندها فإذا بلغت سفينة كبيرة ارتطمت بالأرض، ففي الليل يشعلون سراجاً في زجاجة بحيث لا تطفئه الرياح، وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحتاطون وينجون، والثاني ليعرف الملاحون الاتجاه، ولما اجتزنا الخشاب، بحيث لا يُرى، رأينا آخر مثله، ولكن ليس على سطحه قبة لأنهم لم يستطيعون إكماله)<sup>٤٧</sup>

أما ابن حوقل (ت- ٣٤٧ هـ) فيقول: "وفي هذا البحر هورات كثيرة ومعطف صعبة وأجوان مختلفة، وأشدّها ما بين جنابة والبصرة فإنه مكان يسمى هور جنابة، وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة في هيجان البحر. وفيه مكان يعرف بالخشبات من عبادان على نحو ستة أميال على جري ماء دجلة إلى البحر، وربما يرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشية أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد، وبهذا الموضع أربع

<sup>٤٦</sup> - السيرافي، رحلة السيرافي، ص ١٨٠

<sup>٣</sup> . المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ٨٧/١

<sup>٤٧</sup> . ناصر خسرو، سفرنامه، ص ١٥١

خشبات منصوبة قد بنى عليها مرقبٌ يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدى ويعلم به المدخل إلى الدجلة، وإذا ضلت السفينة<sup>٤٨</sup>.

### سابعاً . الجزر:

يبلغ عدد الجزر في الخليج العربي ٢٢٠ جزيرة وهي متناثرة في طول الخليج وعرضه. ومن بين هذه الجزر جزر صغيرة لا تظهر حتى على الخرائط ذات المقياس الكبير ، وبعض الجزر الكبيرة بسبب ظروفها الطبيعية خالية من السكان. وتنقسم هذه الجزر إلى قسمين ، هما: جزر الساحل الشرقي وجزر الساحل الغربي. وأشهر جزر الساحل الشرقي : جزيرة هرمز والتي زارها ماركوبولو، وجزيرة لارك جنوب شرقي ميناء (بندر عباس)، وجزيرة قشم الوارد ذكرها على لسان الجغرافيين العرب باسم (بني كانان أو كاوان) وبها العديد من القرى، وجزيرة هنجام وسكانها عرب من قبيلة (بني ياس) امتداد لقبيلة بني ياس في دبي. وجزيرة فرور وسكانها من عرب آل مرزوق، وجزيرة قيس أو كيش، وكانت مركز ارتباط بين بلاد النهرين والهند وفارس ومازلت آثار جيش الاسكندر المقدوني في القسم الشمالي منها وحملة الحضرمي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. أما أشهر جزر الساحل الغربي للخليج العربي فهي: جزيرة مسندم وسلامة وبناتها، وجزيرة سلالي وجزيرة السعديات وجزيرة القسرم وجزيرة الحسينية وجزيرة زرقا وجزيرة قرنين وجزيرة داس وجزيرة أرزنة وجزيرة دلما<sup>٤٩</sup>.

ولم يخل مصدر من ذكر تلك الجزر ووصف بعضها تفصيلاً، يقول الدمشقي (ت ٧٢٧هـ): "وفى هذا البحر من الجزائر المشهورة على السنة التجار تسعة منها أربعة عامرة وهي جزيرة خارك يحيط بها عشرون ميلاً وبها مدينة بها جامع حسن، وجزيرة كاس تسمى جزيرة قيس، ويحيط بها اثنا عشر ميلاً وهي عامرة مأهولة بها بساتين كثيرة وهي لصاحب عمان، وله فيها مراكب تغزو جزائر الهند وبها وجزيرة خارك مغاص اللؤلؤ. وجزيرة أوال وهي تجاه البحر بساحل بلاد البحرين وبينهما يوم وبها مدينة بها جامع أيضاً، وجزيرة يافت<sup>٥٠</sup> وتعرف بجزيرة بنى كافان طولها اثنا عشر ميلاً وعرضها تسعة أميال وهي أهلة عامرة، وجزيرة فارس بإزاء خوزستان، وبهذه الجزيرة من النخل ما لغيرها فإنه ينبت بنفسه. ومن المعبر الكبير يسار

<sup>٤٨</sup> . ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥١

<sup>٤٩</sup> . مصطفى عبد القادر النجار، جزيرة خترج من جزر الخليج العربي، ص ٣١

<sup>٥٠</sup> - وفى الاصل: لافت، باللام (وقد ذكرها ياقوت)



إلى جزائر الوقواق وأهلها يتعاملون بالحديد كما يتعامل الناس بالذهب حتى أن أطواق كلابهم من الذهب وسلاسل دوابهم لكثرة الذهب، والحديد عندهم أعز منه وأغلى<sup>٥١</sup>. ويقول ابن الوردى: بحر عمان شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان وهو بحر كثير العجائب غزير الغرائب وفيه مغاص اللؤلؤ ويخرج منه الحب الجيد وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة منها جزيرة خارك وجزيرة خاسك [جاسك] وجزيرة سلطى<sup>٥٢</sup>.

كما عنى ابن خرداذبة بقياس المسافات بين الجزر وذكر مساحة وخصائص كل منها؛ ومن ذلك قوله: "فمن البصرة إلى جزيرة خارك خمسون فرسخاً وهي فرسخ فى فرسخ وبها زرع وكرم ونخل، ومنها جزيرة لاوان<sup>٥٣</sup> ثمانون فرسخاً وهي فرسخين فى فرسخين وبها زرع ونخل، ثم إلى جزيرة خين وهي نصف ميل فى نصف ميل ولا ساكن بها، ثم إلى جزيرة كيس سبعة فراسخ وهي أربعة فراسخ فى مثلها وفيها نخل وزرع وماشية وبها غوص اللؤلؤ الجيد، ثم إلى جزيرة ابن كاوان<sup>٥٤</sup> ثمانية عشر فرسخاً وهي ثلاث فراسخ وأهلها شراة أباضية، ومن جزيرة ابن كوان إلى ارموز<sup>٥٥</sup> سبعة فراسخ<sup>٥٦</sup>.

وتعد جزيرة خارك ذات موقع جغرافي استراتيجي، ومن ثم اتخذها الهولنديون مركزاً لهم في القرن السابع عشر لإدارة أسطول سفنهم ونفوذهم بالخليج، كما أن أغلب السفن . إن لم يكن جميعها . التي تبحر في شمال الخليج العربي وعند اشتداد الأمواج وهيجان الخليج تلجأ لهذه الجزيرة لاتقاء شر الأمواج ، وللتزود بالماء والمؤن حتى هدوء الأمواج ليواصلوا رحلتهم، ويطلق على سكانها "الخواري"، وتقوم الجزيرة الآن بتصدير أكثر من ٩٠% من النفط الخام الإيراني. يقول ياقوت: هي جزيرة فى وسط البحر الفارسى، وهي جبل عالى فى وسط البحر إذا خرجت المراكب من عبادان تريد عمان وطابت بها الريح وصلت إليها فى يوم وليلة، وهي من أعمال فارس، ويقابلها فى البر جنابة ومهروبان، تنتظر هذه من هذه للجد النظر<sup>٥٧</sup>،

<sup>٥١</sup> . الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ص ١٦٦ . ١٧٧ .

<sup>٥٢</sup> . ابن الوردى، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٦٤ .

<sup>٥٣</sup> . هي جزيرة الشيخ شعيب .

<sup>٥٤</sup> . ويقال: جزيرة بنى كاوان وهي جزيرة لافت بين عمان والبحرين، وقد ذكرها ياقوت .

<sup>٥٥</sup> . فى تقويم البلدان: هرموز ويقال أيضاً هرمز (انظر ياقوت)

<sup>٥٦</sup> . ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٦٨

<sup>٥٧</sup> . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٣٧/٢

ويضيف أبو الفدا: وجزيرة خارك بالقرب من عبادان فى بحر البصرة<sup>٥٨</sup>، وجزيرة خارك مدينة وهناك مغاص اللؤلؤ<sup>٥٩</sup>

أما دورقستان فهي جزيرة صغيرة برأس الخليج عند مدخل شط العرب، ويقول ياقوت الحموي: دورقستان: بليدة رأيتها ترفأ إليها سفن البحر التي تقدم من ناحية الهند وهي على ضفة نهر عسكرمكرم، تتصل بالبحر، لا طريق للمراكب الواردة من كيش (جزيرة قيس) إلا إليها، فأما المنفصلة عن البصرة إلى كيش فتمضي على طريق أخرى وهي طريق عبادان، وإذا أرادوا الرجوع لا يهتدون لتلك الطريق بسبب يطول ذكره فيقصدون طريق خوزستان (هي عربستان) لأن هورها متصل بالبر فهو أيسر عليهم. ويضيف الحموي: إنه بعد فتح بلاد العراق أرسل خالد بن الوليد أحد عماله إلى دورقستان، ويقال له أط بن أبي أط التميمي، وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم فنزل دورقستان على نهر منها فسمي ذلك النهر باسمه (نهر أط). ويقول القزويني: هي جزيرة بين بحر فارس ونهر عسكر مكرم. خمسة فراسخ فى خمسة فراسخ. ترفأ إليها مراكب البحر التي تقدم من ناحية الهند، لا طريق لها إلا إليها، وبها الجزر والمد فى كل يوم مرتين. وماؤها عذب، فإذا ورد المد عنها يبقى ملحاً كثيراً<sup>٦٠</sup>.

ويهتم ياقوت بأحداث التاريخ فى تلك الجزر، ومن ذلك قوله: جزيرة كاهان: ويقال جزيرة بني كاهان. جزيرة عظيمة وهي جزيرة لافنت وهي من بحر فارس بين عمان والبحرين افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي فى أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس فى البحرين مر بها فى طريقه، وكانت من أجلّ جزائر البحر، عامرة أهلة، وفيها قرى ومزارع وهي الآن خراب، وذكر المسعودي أنها كانت سنة ٣٣٣ عامرة أهلة، وقال هشام بن محمد: كاهان اسمه الحارث بن امرئ القيمى بن حجر بن عامر بن مالك بن زياد بن عصر بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس<sup>٦١</sup>.

### ثامنا . جغرافية العمران:

<sup>٥٨</sup> - لم أعثر فى التقيوم لأبى الفدا على "بحر البصرة" إلا فى هذا الموضع ولعل مقصوده بحر فارس.

<sup>٥٩</sup> . أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٧٢

<sup>٦٠</sup> . القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٩٥

<sup>٦١</sup> . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٧٢/٢

نتج عن التجارة الواسعة في الخليج العربي أن ازدهرت المدن الساحلية المطلّة على الخليج والمدن التي في ظهيرها، ومن ثم ظهر نمط "المدن التجارية"، كما ظهرت أنماط من المعاييش ومستويات السكان لم تعرفها المدن الداخلية في الأقاليم المحيطة بالخليج. وبخاصة مع تنوع خيرات المدن الساحلية. يقول ابن الوردي: وبحر فارس يسمى البحر الأخضر، وهو شعبة من بحر الهند الأعظم، وهو بحر مبارك كثير الخير، دائم السلامة، وطى الظهر، قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره. قال أبو عبد الله الصيني: خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والغرائب، منها مغاص الدر الذي يخرج من الحب الكبير البالغ وربما وجدت الدرّة اليتيمة فيه التي لا قيمة لها ومعادن أنواع اليواقيت والأحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنبادج<sup>٦٢</sup> والعقيق وأنواع الطيب والإفاوية<sup>٦٣</sup>. وكان التجار الذين يذهبون إلى الصين والهند يأتون بالحرير والفرند والمسك والعود والسروج والسمور والغضائر من الصين. ومن الهند الأعواد والصندل والكافور والقرنفل والنارجيل والثياب المعمولة من الحشيش والثياب القطنية والمخملية. ومن سرنديب الياقوت والماس والدر ومن ملو وسندن الفلفل. ومن كلاه الرصاص القلعي. ويحمل التجار معهم إلى الصين العاج والعمور والكهرب والياقوت والكافور<sup>٦٤</sup>

وكان لهذا الموقع إلى جانب تلك الصحراء الجدبة أثر كبير في تعامل العرب مع المياه وركوبهم البحر منذ الأزمنة القديمة حيث برعوا في الملاحة وبناء السفن رغم ندرة الأخشاب ببلادهم كما تفوقوا في الشؤون التجارية وخصوصا الحضارمة. وكانت وجهتهم الأساسية تجاه المناطق ذات الثراء الطبيعي والتنوع الإنتاجي سواء في آسيا أو في أفريقيا. وقد كان لانتشار الإسلام وعظم مكانة الإمبراطورية الإسلامية وهيبتها أثر عظيم في تدعيم المكانة التجارية للعرب. ولا يعتبر من المبالغة في شئ إذا قلنا إنه بحلول القرون الأولى من الهجرة أصبح العرب سادة المحيط الهندي ملاحيا وتجاريا بل إنهم حوّلوا المحيط الهندي إلى بحيرة عربية.

٦٢ - ويقال السنبادج: حجر، معرب سنبادة بالفارسية.

٦٣. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٦٢

٦٤. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٧٠

ومهما تكن قيمة معلومات الجغرافيين الإغريق والرومان عن الهند فإن معلومات الجغرافيين العرب والمسلمين تتفوق عليها بدرجة واضحة. والواقع أن هناك ما يبرر هذا التفوق. فصلة العرب بشبه القارة الهندية قديمة جداً. وقد ظل أبناء الساحل الجنوبي للجزيرة العربية يحتكرون تجارة العالم مع الهند لقرون طويلة قبل أن يكتشف هيبالوس الروماني في القرن الثاني الميلادي طريقاً بحرياً معيناً إلى الموانئ الهندية الجنوبية بمساعدة الرياح الموسمية. ولم تضعف الصلات التجارية بين سواحل الجزيرة والخليج العربي في أى عصر من العصور بل ازدادت أهميته في عصر ازدهار الدولة الإسلامية ولا سيما في العصر العباسي، وبعد أن نجح القائد العربي محمد بن القاسم في فتح السند عام ٨٩ هـ توثقت الصلات بين الهند والعالم الإسلامي. وأخذ الجغرافيون المسلمون يبدون اهتماماً خاصاً بالهند باعتبارها أحد أجزاء العالم الإسلامي.

وحدث الاتصال الحضاري في نطاق المحيط الهندي بين المسلمين وشعوب آسيا الأمر الذي أعطى منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية بعض الخصوصيات الثقافية التي تتفرد بها عن باقي المنطقة العربية، علاوة على ما تقدم فإن هناك العديد من القصص الشعبي الذي يوضح بجلاء الصلة القديمة والوطيدة بين منطقة الخليج وشعوب آسيا<sup>٦٥</sup>

أما السفن التي استعملها أهل البحر فكانت على نوعين: منها المراكب الصغيرة التي تستخدم للملاحة الساحلية، ومنها المراكب الكبيرة للأسفار البعيدة<sup>٦٦</sup>، وأما عن مواد بناء المراكب فإن مراكب البحر الأحمر والخليج العربي وخاصة مراكب سيراف والمحيط الهندي فهي مخروطية. ويصف لنا الرحالة بن جبير طريقة بناء هذه السفن فيقول: (هي مخيطة بأمراس من القنبار، وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخبط، ويفتلون منه أمراساً يخيطنون بها المراكب ويخللونها بدمر من عيدان النخل، فإذا فرغوا من إنشاء المركب على هذه الصفة، سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها، وهذا القرش حوت عظيم في البحر)<sup>٦٧</sup>. ويبدو أنه إلى جانب هذه السفن المخرزة التي شاهدها ابن جبير في العراق وفي بحر فارس (الخليج العربي) هناك سفن استخدم في صناعتها المسامير، ومما يؤكد ذلك ما

<sup>٦٥</sup> . صلاح الدين على الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي، ص ٤٤

<sup>٦٦</sup> - السيرافي، رحلة السيرافي، ص ٦٦

<sup>٦٧</sup> . ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٤٧

ذكره الجاحظ من أن الحجاج بن يوسف الثقفي هو: (أول من أجرى في البحرالسنن المقيرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة والمسطحة)<sup>٦٨</sup>. وكانت سفن البصرة بيضاء لأنها (مشحمة بالشحم والنورة)، وكانت المراكب التي تبحر إلى الصين ذات أحجام كبيرة وعالية مما يضطر الإنسان إلى استعمال السلالم إذا أراد بلوغ سطحها<sup>٦٩</sup>

وكانت سيراف أكبر وأشهر مرفئ الخليج في العصر العباسي .واستنادا إلى ما جاء في روايات الرحالة الذين ركبوا البحار وكتابات المؤرخين والجغرافيين الذين استمدوا بعض مادتهم من قصص التجار ذكر المستشرق الألماني آدم ميتر بعض مظاهر الجانب الحضاري لسيراف وهي الميناء الرئيسي على الساحل الشرقي للخليج العربي وكانت بها صادرات فارس ووارداتها وتقصدها المراكب من جميع البلاد، وبلغت المكوس التي كانت تؤخذ من المراكب بها آخر القرن الثالث الهجري نحو من مائتين وثلاثة وخمسين ألف دينار في كل عام. وكان أهل سيراف أغنى تجار فارس كلها. وخير شاهد على ذلك ما كان لهم من مساكن عالية ذات طبقات عديدة مبنية من خشب الساج غالي الثمن<sup>٧٠</sup>. ويحكي الاصطخري عن أحد أصحابه أنه أنفق في بناء داره ثلاثين ألف دينار. وكانت ملابس تجارها مع هذا الغنى بسيطة إلى درجة تبعث على العجب. ويقول الاصطخري: إن الإنسان ليجد فيهم من يملك الأربعة آلاف دينار وتراه مع هذا لا يتميز في لباسه عن أجيره. وكان لأهل سيراف متاجر يملكونها في البصرة أيضا<sup>٧١</sup>. ويقول ابن حوقل: إنه لقي رجلا منهم يملك ثلاثة آلاف ألف دينار. وكان كثير من أهل سيراف يقضون حياتهم كلها في البحر فمن ذلك ما رواه الاصطخري من أن رجلا منهم ألف البحر حتى ذكر أنه لم يخرج من السفينة نحو من أربعين سنة وكان إذا قارب البر أخرج صاحبه لقضاء حوائجه في كل مدينة وكان إذا انكسرت السفينة التي هو فيها وتشعثت تحول عنها إلى أخرى<sup>٧٢</sup>.

وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها فسحة. كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرومان والنبق ونحو ذلك. وقصبتها صحارى وهى على البحر. وبها من التجار

<sup>٦٨</sup>. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ٤ / ١٧٢

<sup>٦٩</sup>. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٤

<sup>٧٠</sup>. آدم منر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٣٨٤

<sup>٧١</sup>. الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٥١

<sup>٧٢</sup>. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢١٠

والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهى أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحارى، ولها مدن كثيرة ويقال إن حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ<sup>٧٣</sup>.

ونتج عن هذا الثراء الواسع وتلك التجارة التى لا تبور أن ظهر "قرانصة البحر" يتتبعون السفن للاستيلاء على خيراتها، "وقد شمل خطرهم أرجاء فسيحة من المحيط الهندى فهم يجيرون فى بوارجهم على السفن الواصلة إلى هذه المناطق ويصلون فى بعض الأحيان إلى مصب نهر دجلة والأجزاء الجنوبية من البحر الأحمر وسواحل سيلان؛ فكانت تحتاج إذا ما جازت هذه المناطق بأن تجعل معها جنوداً من البحارة مدربين على رمى النار اليونانية<sup>٧٤</sup>

### تاسعا . الخليج العربى والإعجاز القرآني:

من الملاحظات التى سجلها العرب ظاهرة انبثاق عيون الماء العذب من قاع الخليج فى المناطق الضحلة. وكان ملاحو البحرين يملأون قريهم من تلك المياه. حتى أن بعضهم فسر ذلك بقوله تعالى فى سورة الرحمن ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ولا تزال مثل هذه العيون معروفة حتى اليوم ويملاً الأهالى هناك قريهم من الماء العذب أثناء خوضهم فى الماء المالح فى الخليج العربى وخليج عدن. ولكن هذا التفسير بعيد لأن الآية تشير إلى أن كلا البحرين يخرج منه اللؤلؤ، واللؤلؤ لا يعيش فى المياه العذبة.

والفعل "مرج" لغة: أصل صحيح يدل على مجيء وذهاب واضطراب، والمرج: أصله أرض ذات نبات تمرج فيها الدواب. قال الخليل: سمي البحر بحراً لاستبحاره وهو انبساطه وسعته.. والبحر يقال فى الأصل للماء المالح دون العذب. وقد غلب على المالح حتى قلّ فى العذب. فإذا أطلق البحر دل على البحر المالح، وإذا قيد دل على ما قيد به. والقرآن يستعمل لفظ الأنهار للدلالة على المياه العذبة الكثيرة الجارية. ويستعمل لفظ البحر ليدل على البحر المالح قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾<sup>٧٥</sup> والبرزخ: هو الحاجز: وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه لا يرى. وأصل البغي مجاوزة الحد.

<sup>٧٣</sup> . نفس المصدر، ص ٤٤

<sup>٧٤</sup> . المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ٤٩ .

<sup>٧٥</sup> . سورة إبراهيم: ٣٢ .

وبينت الآيات في سورة الرحمن أن البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وقد تبين أن المرجان لا يكون إلا في البحار الملحة، فدل ذلك على أن الآية تتحدث عن بحرين مالحين، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي يخرج من كل منهما. والمعروف أن المياه إذا اختلطت في إناء واحد تجانست، فكيف وعوامل المزج في البحار كثيرة من مد وجزر وأمواج وتيارات وأعاصير؟ والآية تذكر اللقاء بين بحرين ملحين يختلف كل منهما عن الآخر، إذ لو كان البحران لا يختلف أحدهما عن الآخر لكانا بحراً واحداً، ولكن التفريق بينهما في اللفظ القرآني دال على اختلاف بينهما مع كونهما ملحين. و﴿مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي أن البحرين مختلطان، وهما في حالة ذهاب وإياب واختلاط واضطراب في منطقة الالتقاء، كما تدل اللغة على ذلك بلفظ مرج<sup>٧٦</sup>.

وتختلف البحار في تركيبها عن بعضها البعض من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية. وبعد عام ١٩٦٢م عرف دور الحواجز البحرية في تهذيب خصائص الكتل العابرة من بحر إلى بحر لمنع طغيان أحد البحرين على الآخر فيحدث الاختلاط بين البحار الملحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحدودة بوجود تلك الحواجز<sup>٧٧</sup>. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبُحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾<sup>٧٨</sup>. وهذا ما شاهده الإنسان بعدما تقدم في علومه وأجهزته، فقد وجد ماء ثالثاً حاجزاً بين البحرين يختلف في خصائصه عن خصائص كل منهما. ومع وجود البرزخ فإن ماء البحرين المتجاورين يختلط ببطء شديد، ولكن دون أن يبغى أحد البحرين على الآخر بخصائصه؛ لأن البرزخ منطقة تقلب فيها المياه العابرة من بحر إلى آخر لتكتسب المياه المنتقلة بالتدرج صفات البحر الذي ستدخل إليه، وتفقد صفات البحر الذي جاءت منه وبهذا لا يبغى بحر على بحر آخر بخصائصه، مع أنهما يختلطان أثناء اللقاء.

وفي دراسة ميدانية للمقارنة بين مياه خليج عمان والخليج العربي بالأرقام والحسابات والتحليل الكيميائي، تبين اختلاف كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة

<sup>٧٦</sup>. قال تعالى: ﴿فهم في أمر مريج﴾ [سورة ق: ٥]. وجاء في لسان العرب (مريج: مختلط).

<sup>٧٧</sup>. عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص ٢٩

<sup>٧٨</sup>. سورة النمل: ٦١

في كل منهما ووجود البرزخ الحاجز بينهما<sup>٧٩</sup>. وهذا ما كشفه العلم من وصف لحال البرزخ الذي يكون متعرجاً ومتنقلاً في الفصول المختلفة بسبب المد والجزر والرياح. كما أن عمود الماء في هذه المنطقة يتكون من طبقتين من المياه، إحداهما سطحية أصلها من خليج عمان، والأخرى سفلية أصلها من الخليج العربي. أما في المناطق البعيدة والتي لا يصل إليها تأثير عملية الاختلاط بين الخليجين فإن عمود الماء يتكون من طبقة واحدة متجانسة وليس من طبقتين. وبرغم هذا الاختلاط (في المناطق التي بها مياه مختلطة)، وتواجد نوعين من المياه فوق بعضهما البعض فإن حاجزاً ثابتاً له استقرار الجاذبية وقوتها يقع بين طبقتي المياه، ويمنع مزجهما أو تجانسهما حيث يتكون بذلك مخلوط غير متجانس. وأوضحت النتائج أن هذا الحاجز إما أن يكون في الأعماق (من ١٠ إلى ٥٠ متراً) إذا كان اختلاط مياه الخليجين رأسيًا أي أن أحدهما فوق الآخر، وإما أن يكون هذا الحاجز على السطح إذا تجاوزت المياه السطحية لكل من الخليجين.

وقد سبق تقي الدين المقرئزي (ت ٨٢٥هـ) إلى هذه الحقيقة العلمية، وخالف جملة المفسرين الذين يتأولون النص بأنه التقاء ماء البحر وماء النهر، يقول: "البحر المحيط: ويخرج من هذا المحيط ستة أبحر. أعظمها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ وقوله ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ فأحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب، فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان<sup>٨٠</sup>.

### الخاتمة:

نخلص في تنمة ذلك البحث إلى جملة من الحقائق والنتائج تتمثل فيما يلي:

- كانت التجارة في الطريق البحري الممتد من الخليج العربي إلى أقاصي المحيط الهندي بالغة الأهمية لقيام امبراطوريتين عظيمتين أولهما الامبراطورية الإسلامية والثانية امبراطورية الصين. كما وقد كانت الرحلة في الخليج العربي أرجى من البحر الأحمر.

<sup>٧٩</sup> . عبد المجيد عزيز الزنداني، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار، ص ٢٣

<sup>٨٠</sup> . المقرئزي، "الخطط المقرئزية"، ٢٨/١



- يعد ابن خردادبة (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) صاحب كتاب "المسالك والممالك" خير من وصف لنا الطريق البحري عبر الخليج العربي إلى الهند والصين؛ إذ لم يكتف بتقدير المسافات على طول الطريق بين المركز التجارية المختلفة التي تتمثل في المرافئ والمدن الهامة، وإنما اهتم أيضاً بوصف هذه المراكز وصفاً مسهباً وأمدنا بمعلومات وافرة عما تنتجه من صناعات. كما كتب شمس الدين الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) فصلاً كاملاً عن الخليج عنوانه "في وصف بحر فارس وحدوده وعمائره وجزائره وعجائبه"،

- يعد الدمشقي من العلماء القلائل الذين ربطوا بين ظاهرة المد والجزر وبين أوجه القمر حيث أعطى لنا وصفاً دقيقاً للدورة المدية اليومية التي تحدث في الجزء الشمالي من الخليج العربي عند شط العرب. كما اجتهد كل من القزويني (ت ٦٨٢هـ) وأبوالفدا (ت ٧٣٢هـ) في معرفة مدى المد والجزر

. كانت حرفة صيد اللؤلؤ في الخليج العربي الحرفة الأشهر بعد التجارة، وقامت عليها اقتصاديات عدة مدن خليجية، ومن ثم لقيت تلك الحرفة عناية الرحالة المسلمين فسطروا عنها في كتاباتهم، وقد أطلق المسعودي على أماكن صيد اللؤلؤ "مغاصات الخليج الفارسي" وقد فصل الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) حقيقه تكوين اللؤلؤ وعقد له فصلاً في كتابه سماه "في وصف الدر واللؤلؤ وكيفية توليده في أصدافه وذات حيوانه"

. وصف السيرافي الظواهر الجغرافية والفلكية التي يتعرض لها (الخليج العربي) وبحر الهند والأوقات التي يحسن فيها الإبحار، والخطورة التي قد يتعرض لها أصحاب السفن عند هبوب الرياح. وقد عرف الرحالة المسلمون تلك الحقائق؛ وسجلوها بدقة تامة، وقد لاحظ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) علامات تنبئ باقتراب هيجان البحر وسرعة رياحه واضطراب موجة،

. على الرغم من أن اليونانيين وغيرهم قد طافت مراكبهم في المحيط الهندي منذ القرن الأول الميلادي إلا أن العرب كان لهم فضل اكتشاف التيارات البحرية المنعكسة في النصف الشمالي من هذا المحيط. وأقدم وصف مدون لظاهرة التيارات البحرية المنعكسة ورد في كتاب ابن خردادبة (ت ٣٠٠هـ) «المسالك والممالك».

. نتج عن ضحالة السواحل تعرض غير قليل من السفن للغرق، مما أدى إلى إنشاء ما يشبه "النفارات"، ولقد أولت الدولة العباسية الطرق البحرية جانباً كبيراً من اهتمامها فقامت بحمايتها وتنظيمها لتسهيل طرق التجارة

- لم يخل مصدر من ذكر جزر الخليج أو بعضها ووصفها تفصيلاً، كما عنى ابن خرداذبة بقياس المسافات بين الجزر وذكر مساحة وخصائص كل منها.

. نتج عن التجارة الواسعة في الخليج العربي أن ازدهرت المدن الساحلية المطلّة على الخليج والمدن التي في ظهيرها، ومن ثم ظهر نمط "المدن التجارية"، كما ظهرت أنماط من المعاش ومستويات السكان لم تعرفها المدن الداخلية في الأقاليم المحيطة بالخليج.

. نتج عن هذا الثراء الواسع وتلك التجارة التي لا تبور أن ظهر "قرانصة البحر" الذين يتتبعون السفن للاستيلاء على خيراتها، فكانت السفن تحتاج إلى وجود جنود من البحارة مدربين على رمى النار اليونانية

- خالف تقي الدين المقریزی (ت ٨٢٥هـ) جملة المفسرين الذين يتأولون قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ بأنه التقاء ماء البحر وماء النهر، وقال بأنه التقاء مياه البحر المحيط بالبحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي.

#### المصادر والمراجع:

- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني) مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢م.

- ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص، ت ٧٤٩هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، باعتناء الشيخ: محمد شاهين، القاهرة، ١٢٨٠هـ.

- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، طبع دار الشرق العربي، بيروت، د. ت

- ابن جبیر (محمد بن أحمد، ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبیر (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"، نشر دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م.

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، ت ٣٨٠هـ/٩٩٢م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٩

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) المسالك والممالك، تحقيق: دى خويه، ليدن، ١٣٠٧/١٨٨٩م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر "مقدمة ابن خلدون"، بيروت ١٩٣٩ هـ / ١٩٧٩م.
- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)، كتاب الأعلام النفيسة، بريل، ليدن، ١٨٩٣م
- أبو الفداء (إسماعيل بن علي، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان، تصحيح جوزيف توسن رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م
- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلي العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط ٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م
- الاضطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧
- البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد، ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: خليل عمران المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، القاهرة، ١٩٣٨م.
- الدمشقي (شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب ، ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٨٤
- السيرافي (أبو زيد الحسن)، رحلة السيرافي، تحقيق: عبدالله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩
- القزويني (أبو يحيى عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- القزويني (أبو يحيى عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

- المقریزی (تقی الدین أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقريزية"، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٨٨م.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
- جودة حسنين جودة، جغرافية البحار والمحيطات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.
- جورجى فضل حورانى، العرب والملاحة فى المحيط الهندى، تعريب د. يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٨.
- حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٣٨، شوال ١٤٠٩ / حزيران ١٩٨٩.
- سليمان التاجر، سلسلة التواريخ، المطبعة السلطانية، باريس، ١٨١١م
- سيف مرزوق الشمالان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، ط١، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٥م.
- شوقى عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٠هـ.
- صلاح الدين على الشامى، الرحلة العربية فى المحيط الهندي ودورها فى خدمة المعرفة الجغرافية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ١٣، العدد ٤، ١٩٨٣.
- عبد المجيد عزيز الزندانى، من أوجه الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى عالم البحار، هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، مكة المكرمة، د.ت.
- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، سلسلة الثوابت العلمية فى القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.
- كراتشكوفسكى (اغناطيوس يوليا، ت ١٩٥١م)، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٦
- كرامرز وآخرون، الجغرافيا عند المسلمين، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢

- مصطفى عبد القادر النجار، جزيرة ختّرج من جزر الخليج العربي، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣
- . ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٩
- . ناصر خسرو، سفرنامه، نقله للعربية: يحي الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥
- ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبي عبد الله، ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.